

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِ أَمْنٌ نُفَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً
مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ
إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخَفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ
الَّتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا
وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا
فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا
لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ
لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً
 مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ
 الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ
 إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخَفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ
 يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَٰؤُلَاءِ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
 فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
 وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

(ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ) الذي أصابكم
 (أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ)

*أيسر التفاسير: النعاس: استرخاء يصيب الجسم
 قبل النوم.

*** يَعْنِي: أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَ الثَّبَاتِ وَ التَّوَكُّلِ
 الصَّادِقِ،

وَ هُمْ الْجَازِمُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُ رَسُولَهُ وَ يُنْجِزْ لَهُ
 مَأْمُولَهُ،

*** يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًا عَلَى عِبَادِهِ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ
السَّكِينَةِ وَالْأَمْنَةِ،

وَ هُوَ النَّعَاسُ الَّذِي غَشِيَهُمْ وَهُمْ مُشْتَمِلُونَ السَّلَاحِ فِي
حَالِ هَمِّهِمْ وَ غَمِّهِمْ، وَ النَّعَاسُ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ
دَلِيلٌ عَلَى الْأَمَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ، فِي
قِصَّةِ بَدْرٍ: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ

مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ

وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ الأنفال: ١١

*** وَ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:-

النُّعَاسُ فِي الْقِتَالِ مِنَ اللَّهِ، وَفِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

*** صحيح البخاري

4562 - عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ:

" غَشَيْنَا النَّعَاسُ وَ نَحْنُ فِي مَصَافِنَا يَوْمَ أُحُدٍ،
قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَ أَخَذُهُ وَ يَسْقُطُ وَ
أَخَذُهُ "

ش (مصافنا) جمع مصف وهو الموقف

○* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

سنن الترمذي ت شاكر

3007 - عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ:

«رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أَحَدٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ،
وَمَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَمِيدُ تَحْتَ
حِجْفَتِهِ مِنَ النَّعَاسِ»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ
وَجَلَّ:

{ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا}
[آل عمران 154]

○ و لا شك أن هذا رحمة بهم، و إحسان و تثبيت
لقلوبهم،

و زيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه
من الخوف،

فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس.

و هذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون
الذين ليس لهم هم إلا إقامة دين الله، و رضا الله و
رسوله، و مصلحة إخوانهم المسلمين.

و أما الطائفة الأخرى الذين (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ

أَنْفُسُهُمْ)

*** يَعْنِي:- لَا يَخْشَاهُمُ النَّعَاسُ مِنَ الْقَلْقِ وَ الْجَزَعِ وَ
الْخَوْفِ

فليس لهم هم في غيرها، لنفاقهم أو ضعف إيمانهم،

فلهذا لم يصبهم من النعاس ما أصاب غيرهم،

(يُظَنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)

***كقوله ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ

أَهْلِهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا

وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ الفتح: ١٢

وَهَكَذَا هَؤُلَاءِ، اعْتَقَدُوا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا ظَهَرُوا تِلْكَ
السَّاعَةَ أَنَّهَا الْفَيْصَلَةُ

وَأَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ بَادَ وَأَهْلُهُ،

○ هَذَا شَأْنُ أَهْلِ الرَّيْبِ وَ الشَّكِّ إِذَا حَصَلَ أَمْرٌ مِنَ
الْأُمُورِ الْفَظِيعَةِ،
تَحَصَّلَ لَهُمْ هَذِهِ الظُّنُونُ الشَّنِيعَةُ.

(يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ)

و هذا استفهام إنكاري،

أي: - ما لنا من الأمر - أي: - النصر و الظهور - شيء،

فأساءوا الظن بربهم و بدينه و نبيه،

و ظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله،

و أن هذه الهزيمة هي الفيصلة و القاضية على دين الله،

قال الله في جوابهم: **(قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ)**

○ الأمر — يشمل: -

1- الأمر الق——دري،

2- و الأمر الش——رعي،

فجميع الأشياء بقضاء الله و قدره، و عاقبة النصر و
الظفر لأوليائه
و أهل طاعته، و إن جرى عليهم ما جرى.

(يُخَفُّونَ) يعني المنافقين

^ط(فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ)

ثم بين الأمر الذي يخفونه، فقال:

(يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)

أي: لو كان لنا في هذه الواقعة رأي و مشورة

(مَا قُتِلْنَا هَهُنَا)

و هذا إنكار منهم و تكذيب بقدر الله، و تسفيه منهم

لرأي رسول الله ﷺ

و رأي أصحابه، و تزكية منهم لأنفسهم،

*** يُسِرُّونَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:-

و أورده بن كثير في تفسيره أيضا:-

أخرج ابن راهوية في المطالب العالية:-

قال ال——زبير :-

○ لقد رأيته مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين

اشتد علينا الخوف

○ وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا و ذقنه -أو

قال ذقنه- في صدره

○ فو الله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن

قشير

{لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا}

فحفظتها

فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك

{ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا} - إلى

قوله - {مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا} - لقول معتب بن قشير

قال

{لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ} حتى بلغ {عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}

فرد الله عليهم بقوله: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ)

التي هي أبعد شيء عن مظان القتل

*** هَذَا قَدَرٌ مُقَدَّرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَ حُكْمٌ حَتْمٌ لَا يُحَادُّ عَنْهُ،

و لَا مَنَاصَ مِنْهُ.

(لَبَّرَزَ الَّذِينَ)

* أيسر التفاسير: لخرجوا من المدينة ظاهرين
ليلقوا مصارعهم هناك.

{ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ }

يريد كتب في كتاب المقادير، أي: اللوح
المحفوظ.

{ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ }

جمع مضجع، و هو مكان النوم،
و الاضطجاع و المراد المكان الذي صرعوا في
قتلى.

○ فالأسباب - و إن عظمت - إنما تنفع إذا لم يعارضها
القدر و القضاء،

فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئاً،
بل لا بد أن يمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ من
الموت و الحياة،

(وَلَيَبْتَلىَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ)

أي: يختبر ما فيها من نفاق و إيمان و ضعف إيمان،

(وَلَيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ)

* أيسر التفاسير :

التمحيص: التمييز و هو إظهار شيء من شيء
كإظهار الإيمان من النفاق، و الحب من الكره.

من وساوس الشيطان، و ما تأثر عنها من الصفات غير الحميدة.

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

أي: بما فيها و ما أكنته، فاقتضى علمه و حكمته أن:-
قدر من الأسباب، ما به تظهر مخبات الصدور و سرائر الأمور.

ثم قال تعالى: -

**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ
الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا**

يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم « **أحد** » و ما
الذي أوجب لهم الفرار: 1- و أنه من تسويل الشيطان،
2- و أنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم.

☀ فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ☀ و مكنوه بما
فعلوا من المعاصي،

لأنها مركبه و مدخله،

فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ

اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ الحجر: ٤٢

(وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ)

ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذة
(((الفرار)))

و إلا فلو واخذهم لاستأصلهم.

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ)

للمذنبين الخطائين بما يوفقهم له من التوبة و
الاستغفار، و المصائب المكفرة،

(حَلِيمٌ)

لا يعاجل من عصاه، بل يستأني به، و يدعوه إلى الإنابة
إليه، و الإقبال عليه.

❦ ثم إن تاب و أناب قبل منه، و صيره كأنه لم يجر منه
ذنب،

و لم يصدر منه عيب، فله الحمد على إحسانه.

*** مسند أحمد مخرجا

490 - عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: لَقِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ
الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ،

فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: مَا لِي أَرَاكَ قَدْ جَفَوْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عُثْمَانَ،

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:-

1- أَبْلَغُهُ أَنِّي لَمْ أَفِرَّ يَوْمَ عَيْنِينَ، - قَالَ عَاصِمٌ: - يَقُولُ
يَوْمَ [أَحَد] -

2- وَ لَمْ أَتَخَلَّفْ يَوْمَ بَدْرٍ،

3- وَ لَمْ أَتْرُكْ سُنَّةَ عُمَرَ،

قَالَ: - فَأَنْطَلَقَ فَخَبَرَ ذَلِكَ عُثْمَانَ،

قَالَ: فَقَالَ:-

1- أَمَّا قَوْلُهُ إِنِّي لَمْ أَفِرَّ يَوْمَ عَيْنِينَ، فَكَيْفَ يُعَيِّرُنِي
بِذَنْبٍ، وَ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ
يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} [آل عمران: 155] ،

2- وَ أَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي تَخَلَّفْتُ يَوْمَ بَدْرٍ:-

فَإِنِّي كُنْتُ أَمْرَضُ رُقِيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى مَاتَتْ،

«وَ قَدْ ضَرَبَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمِي،

وَ مَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمِهِ فَقَدْ شَهِدَ» ،

3- وَ أَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي لَمْ أَتْرُكْ سُنَّةَ عُمَرَ: -

فَإِنِّي لَا أُطِيقُهَا وَ لَا هُوَ، فَأَتَيْتُهُ فَحَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ

إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا

قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ

مُتُّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا)

ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يشابهوا الكافرين، الذين لا يؤمنون بربهم،

و لا بقضائه و قدره، من المنافقين و غيرهم.

ينهاهم عن مشابهتهم في كل شيء،

و في هذا الأمر الخاص

(وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ)

و هو أنهم يقولون لإخوانهم في الدين أو في النسب:

(إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ)

أي: سافروا للتجارة

(أَوْ كَانُوا غُرَى)

أي: غزاة، ثم جرى عليهم قتل أو موت، يعارضون القدر و يقولون:

(لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا)

*** في البلد

(مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا)

*** ما ماتوا في السفر و لا قتلوا في الغزو

(لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ)

***خَلَقَ هَذَا الْإِعْتِقَادَ فِي نُفُوسِهِمْ لِيَزْدَادُوا حَسْرَةً عَلَى
مَوْتِهِمْ وَ قَتْلِهِمْ

- وهذا كذب منهم، فقد قال تعالى:

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى
مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

آل عمران: ١٥٤

و لكن هذا التكذيب لم يفدهم، إلا أن الله يجعل هذا
القول،

○ وهذه العقيدة حسرة في قلوبهم، فتزداد مصيبتهم،

○ و أما المؤمنون بالله فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله،

فيؤمنون و يسلمون، فيهدي الله قلوبهم و يشبثها، و

يخفف بذلك عنهم المصيبة.

قال الله ردا عليهم: (وَاللَّهُ يُخَيِّرُ وَيُمَيِّتُ)

أي: هو المنفرد بذلك، فلا يغني حذر عن قدر.

(وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم بأعمالكم و

تكذيبكم.

(وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ
خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)

ثم أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص و لا محذور، و إنما هو مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون،

○ لأنه سبب مفضـض و موصـل إلى: -

1- مغفرة الله

2- و رحمته،

و ذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم.